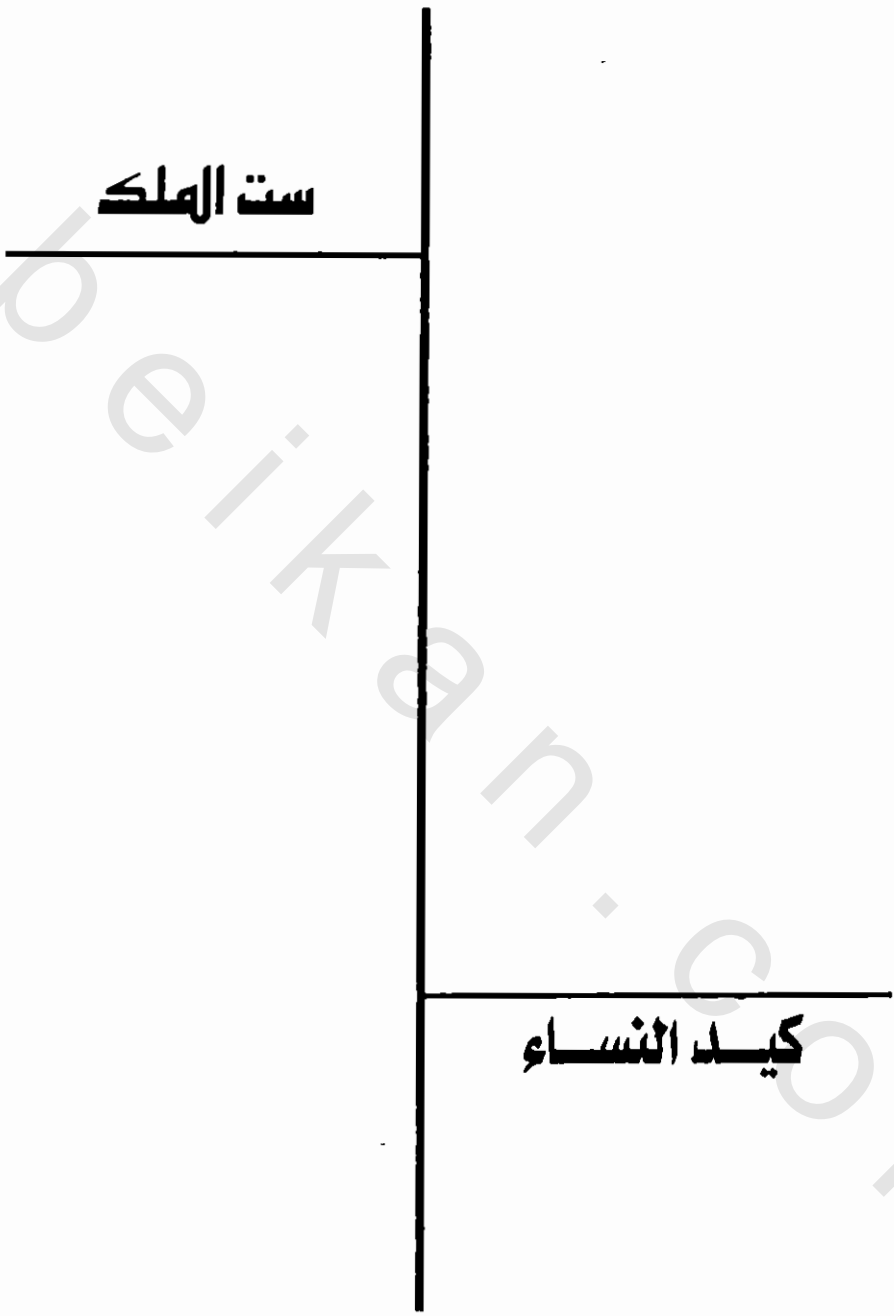

obeikan.com

obeikan.com

ست الملك

هي ابنة العزيز بالله من زوجة نصرانية جميلة من بلاد الشام كان العزيز قد استوزر عيسى بن نسطوس النصرانى لكنه كان متعصبا لبنى جلدته ومسيئا للمسلمين وإذا شكا إليه أحد من سوء معاملته يقول:

إن شريعتنا متقدمة والدولة كانت لنا ثم صارت إليكم فجرتم علينا بالجزية والمذلة فمتى كان معكم إحسان إلينا حتى تطالبونا بمثله .

كان عيسى بن نسطوس مستمد قوته وجبروته من مساندة زوجة العزيز النصرانية وابنته ست الملك ، ليس هذا فقط بل إنه استناب بالشام "منشا بن إبراهيم" اليهودى الذي كان ينحاز أيضا إلى أبناء جلدته كما يفعل عيسى .

كان أبوها العزيز بالله يستشيرها في الكثير من أمور الملك ، وكان يستمع إلى نصائحها اعترافا بذكائها وحسن تدبيرها ، وحين توفى العزيز بالله تاركا ولده وولى عهده وكان عمره آنذاك اثنتى عشرة سنة بينما هي في السادسة والعشرين وقامت بالفعل بمسئولية تدبير أمور الدولة وتوجيه أخيها الصغير والحفاظ على الدولة حتى استطاع بمشورتها أن يحافظ على الحكم بعيدا عن الأوصياء ، وتحملت التصرفات الهوجاء لأخيها وسلوكياته القريبة في ميله للعنف والإسراف في القتل وإصداره لقوانين غريبة واحكام متناقضة ورغم أنها كانت تنصحه كثيرا من عواقب تلك السلوكيات وتحذره مما يمكن أن يحدث نتيجة لذلك ، وبدلا من الانصياح لنصائح أخته الأكبر والأكثر خبرة منه كان يغضب ويزداد في سلوكياته الشنيعة بل ويتفنن في البحث عن أشياء سيئة أخرى ليضيفها إلى مساوئه وربما كان هناك من ينصحه أو يشجعه على ذلك .

ومن تلك الأمور كثرة الضرائب وجمع جواريه ووضع صندوق من الحديد ويلقى بهن في النيل ،وأشاع الاضطرابات في المجتمع بعد إسرافه

في سفك الدماء وإقالة الوزراء ورجال الدولة دون سبب .

لم يقتصر ظلم أخيها على طبقة معينة بل طال ظلمه كل الطبقات دون سبب حتى بلغ ضحاياه أكثر من عشرة آلاف شخص .

ومن أطرف قراراته التي اتسمت بالغباء الشديد كتحريم بعض الأطعمة وتحويل النشاط والعمل إلى الليل بدلا من النهار ليجعل من الشعب المصرى كائنات ليلية وحظر التبرج على النساء بل ومنهم من الخروج من بيوتهم ويدعم قراره هذا أن يحظر على صانعى الأحذية صنع الأحذية النسائية حتى لا يجدن ما يخرجن به في أرجلهن .

ليس هذا فقط ، بل إنه كان يشجع الدعوات السرية الإلحادية ثم يلجأ هو إلى التقشف والزهد ورصد النجوم ليلا من على جبل المقطم .

لا تتوقف ست الملك عن نصح أخيها الذي تبدو كل تصرفاته مختلة ومتناقضة لكنه لا يرتدع ويحكم عليها بالعزلة إيمانا منه بأن النساء لا يصلحن لشؤون الحكم ، لكن كل الأمور الماضية رغم بشاعتها كان يمكن أن تُحتمل لكن حدث ما هو أفظع من كل ذلك وهو ما جعل ست الملك تخشى على زوال ذلك الملك ونهاية الخلافة الفاطمية حين علمت بانتشار مذهب الملاحدة والفرس ومناداتهم بألوهية الحاكم زاعمين أنه ليس مثل بقية البشر وإنما هو رمز حل فيه الإله وبدلا من أن يبطش بهم أخوها ويرفض دعوتهم الهدامة والمنافية للإسلام يحميهم ويبارك دعوتهم ، وبهذا سقطت الورقة الأخيرة وازداد غضب الشعب وسخطه ليحدث الانفجار حين ذهب هؤلاء الملاحدة إلى جامع عمرو بن العاص لنشر دعوتهم وحدث الصدام وينحاز الحاكم المخبول للملاحدة ويأمر بإحراق الفسطاط لعقاب الناس عقابا جماعيا .

لم تجد ست الملك وسيلة مشروعة لإعادة أخيها إلى جادة الصواب وليس لديها جيش لتواجهه ولم تجد سوى المكيدة فدعت سرا الحسين بن

الداوس زعيم قبيلة (كتامة) أقوى القبائل المغربية وأكثر الناقمين على أخيها لاضطهاده وبطشه بقبيلته وعرضت عليه ما فكرت فيه وما انتهت إليه الأمور من الظلم والفوضى والاضطرابات، وتحدثت معه في ضرورة إيجاد طريقة لوقف أخيها عن غيه حتى لو أدى الأمر إلى قتله بدلا من تمزق الدولة ودفعا للأخطار التي تتهدد الدولة الإسلامية بل والإسلام، وكانت فرصة عظيمة لابن الدواس الذي بدأ يفكر في خطة للخلاص من المعز بالله والتى تتلخص في إرسال عبدين من أخلص عبيده فأعطتهما ست الحسن أموالا وفيرة وحصانين وسكينتين وتم الاتفاق معهما على أن يكون التنفيذ مساء اليوم التالى (ليلة الاثنين ١٣ من فبراير ١٠١٢م) حيث خرج المعز بالله لرصد النجوم من على جبل المقطم الذي يذهب إليه على حماره وكان القتل أو الأمر بالقتل فرصة للعبدين اللذين انقضا عليها وقتلاه وهو من كانا معه وقطعا قوائم الحمار وحملا جثته إلى ابن الدواس الذي حملها إلى أخته ست الملك لتدفنه في مجلسها.

ولأن الأميرة الفاطمية كانت حريصة أكملت خطتها بعد ذلك فقامت بالمكيدة أيضا بتدبير قتل كل من شارك في عملية القتل ونصبت ابن أخيها الظاهر أبى الحسن على كرسى الخلافة.

* * *